البحث عن الآثار المصرية[1]

وسائل المدرة وقصر منف

تمهيد

ايعلم الفلاح وهو يحرث ضيعة او يحفر قناة او يزرع اشجاراً في بستان من الطرف او قطعة من النقود او تحت قدميه ارضاً حرثها او حفرها فلاح آخر قبله منذ قرون كثيرة. او ان تحت قدميه آثار قرية سكنها اقوام مختلفون منذ الوف من السنين. او انقاض مدينة من مدن الاقدمين ولا تزال آثار بيوتها وشوارعها مطمورة في الارض وقد توجد فيها بعض اساسات مكانها التي تركوها فيها لما اجتاح العدو مدينتهم وحرقها او هدمها وما حفر في ارض بيوتها فقد يجد فيها جرة تحوي فرخاساً كتب فيه صاحبه حجة ارضه او حساب تجارته

قلما تجد فداناً من اطيان القطر المصري وليس فيه شيء من آثار العمران القديم وقد نُبش كثير من هذه الآثار فامتلأ به المتحف المصري وبعض الكثير منه متاحف اوربا واميركا وقصور كثيرين من الامراء والكبراء. ولكن هذه الآثار على ما فيها من الغرابة ودقة الصنعة ضاعت اكثر فائدتها العلمية لانه لا يُعلم المكان الذي نبشت منه بالضبط ولذلك لا يُعرف شيء كثير عن احوال العمران المصري القديم مع كثرة ما وجد من آثاره وسبب ذلك ان اكثر المغرمين بنبش هذه الآثار وجمعها واقتنائها اكتفوا بالنظر الى اشكالها ولم يلتفتوا الى دلالتها التاريخية

لما اهتمت المتاحف المختلفة بالبحث عن الآثار المصرية كان المنتظر انها تتلافى الخطأ الذي وقع فيه غيرها ولكن الباحثين الاولين من رجالها لم يتلافوا ذلك ولا يزال هو البعض منهم الاكثار من الآثار لكي يملأوا بها متاحفهم غير ملتفتين الى ما يجب بيانها للاستدلال على احوال العمران المصري القديم بكل تفاصيله. وهذا لا يصدق على كل الباحثين من قبل المتاحف لان بعضهم بذلوا جهدهم في مراعاة ذلك ولكنهم قصروا في تدوين ما يتعلق بالآثار التي اكتشفوها إما لانهم لم يجروا على اسلوب منتظم في تدوين كل شيء او لانهم لم يجروا على اسلوب منتظم

(١) ترجمت مقالة الكلية للدكتور فنس Flinders S. Petrie

في تدوينه . ومن يعرف ما يجب الالتفات اليه فانه في خدمة العلم في الزمن الحاضر وفي اعتقادي ان يجب اعتماد العلماء الصور المقبلة لانهم قد يكونون اقدر منا على فهم دلالتها . وهناك يجب علينا تدوين كل شيء سواء فهمنا دلالته او لم نفهمها اذ قد يأتي بعدنا من لا يتعذر عليه فهمها . وعلى هذا الاساس بني البحث الحديث عن الآثار المصرية والفضل فيه لعلماء اميركا . فان الاميركيين مشهورون بتدقيقهم في اعمالهم . وقد جرى الباحثون منهم عن العاديات اي الآثار القديمة هذا المجرى من التدقيق فصار التنقيب عن الآثار اسلوباً علمياً يجري الباحثون فيه على طريقة منظمة توضع قبل الشروع في العمل ولا يترك امر من الامور التي تقع تحت عين الباحث الا درسها امامه . مثال ذلك ما فعله الباحثون من قسم متحف جامعة بنسلفانيا في مدافن الجيزة وندرة مدة السنوات الاربع الاخيرة مع ان اكثر اهتمامهم كان منصرفاً الى البحث عن آثار منف (ميت رهينه) كما سيجيء

مدافن وندرة

في وندرة اوسع مدافن الصعيد القديمة فهي تشغل مساحة واسعة من الارض . وكثيراً ما نبشت للتنقيب عما فيها من العاديات (الانتيكات) فكان العمال يأتونها في الصباح فيتعاون حيث يظنون انهم يجدون قبوراً قديمة فيحفرون ويبحثون في المساء اجرة مناسبة لما وجدوه فكان همهم الاكبر ان يجدوا شيئاً يجازون عليه . فلما اتى الباحثون من جامعة بنسلفانيا رسموا الارض التي يراد الحفر فيها وقسموها الى مربعات طول كل مربع منها ٢٠٠ متر وعرضه ١٨٠ متراً ووضعوا لها اعداداً متسلسلة ثم قسموا كل مربع منها الى تسعين مربعاً صغيراً كل واحد منها عشرون متراً طولاً في مثلها عرضاً ووضعوا لكل مربع عدداً مركباً من ثلاثة منازل هكذا ١٠١ و ٢٠٢ و ٣٠٣ . وهلم جرا الى ٩٠٠ وتركوا الارقام المفردة لعدد القبور التي توجد في كل مربع . ورسموا للارض خريطة على قياس معلوم وشرعوا في التنقيب من احد جوانبها فنقبوها متراً متراً ولم ينتقلوا من متر الا بعد ما رأوا كل ما فيه ودونوا كل ذلك ووضعوا له اعداداً تدل عليه وعلى المربع الذي هو فيه

ويستنتج مما اكتشفوه ان القبور كانت في اول الامر مجتمعة بجانبي وادي القديمة منها كانت تهدم وتندثر ثم يبنى مكانها قبور جديدة . وقد يترك قبر قديم في مكانه صدفة . فاقدم قبر قديم من قبور الدور الاولى وجد بين قبور الدولة التاسعة من

جهة وبين قبر احدث منها منقور في الصخر وهو على ١٥ سنتيمتراً منهُ فقط. والظاهر ان الذين بنوا القبور الحديثة لم ينتبهوا لوجود هذا القبر القديم في جوارها

ومما تمتاز به مقبرة دندرة المصاطب الكبيرة المبنية بالطوب والقبور القديمة المجتمعة بجامع كما تقدم وهي من العصر الذي بين الدول المصرية القديمة والدول الوسطى. اما المصاطب فيمتد تاريخها من الدولة الثالثة الى الدولة الحادية عشرة (اي من سنة ٣٣٠٠ الى سنة ٢٠٠٠ قبل المسيح) ومنها ترى كيفية الارتقاء في عمل هذه القبور. والقبور المتجمعة قلما يعلم شيء من احوال العصر الذي وجدت فيه وهي كثيرة غلاً اكثر المقبرة وتختلف بعض الاختلاف في تخاهها وشكل وضع الميت فيها. ويظهر ان اكثرها نُبش قبلاً ونُهب ما فيه ولعل الذين كانوا يدفنون الموتى هم الذين كانوا ينهبون المتجمعين بعد دفنهم

والظاهر ان عصر هذه القبور كان عصر اضطراب في البلاد ولكنهُ كان قصير المدة. وقد يكون في المجموع منها حفرة واحدة وقد يكون فيهِ حفر كثيرة في صف واحد وكل مجموع لعائلة واحدة. وكان اصحاب كل مجموع يختارون قطعة من الارض يبنون حولها سوراً من الطوب وكلما ارادوا دفن واحد من موتاهم حفروا لهُ حفرة في الصخر كالبئر عمقها من مترين الى ستة امتار ثم يحفرون في احد جوانبها غرفة صغيرة يضعون فيها تابوت الميت وهو من الخشب المطلي بالجبس. فاذا كان المدفن امرأة وضعوا معها في تابوتها مرآتها وهي من البرنز ومكحلتها وعقدها ودماليجها. واذا كان رجلاً دفنوهُ في تابوت مثل تابوت المرأة ووضعوا معهُ سيفهُ وقاسهُ ووضعوا في الغرفة حول التابوت قوارير مختلفة الاقدار وكان الاقدمون يضعون فيها طعاماً للميت اما اصحاب هذه القبور فكانوا يملأونها تراباً وحجارة ويسدونها بالطين سدّاً محكماً. ويسدون باب الغرفة بالطوب ثم يضعون الحفرة كلها ويبنون فوقها بناء من الطوب في جانبهِ الشرقي كوة فيجتمع اقرب الميت في بعض الاعياد ويزورون القبر ويقدمون لهُ تقدمة يضعونها في تلك الكوة. وقد تستعمل الحفرة الواحدة لميت آخر فتحفر غرفتهُ امام الغرفة الاولى وقد تستعمل لميت ثالث تحفر غرفتهُ فوق غرفة سفلى

وقد ينصب حجر امام الكوة يكتب عليهِ اسم الميت وصلاة وجيزة يصليها وتحفر فيهِ حفرة صغيرة كالحوض توضع فيها تقدمة تقدم لهُ. ومن هذه القبور

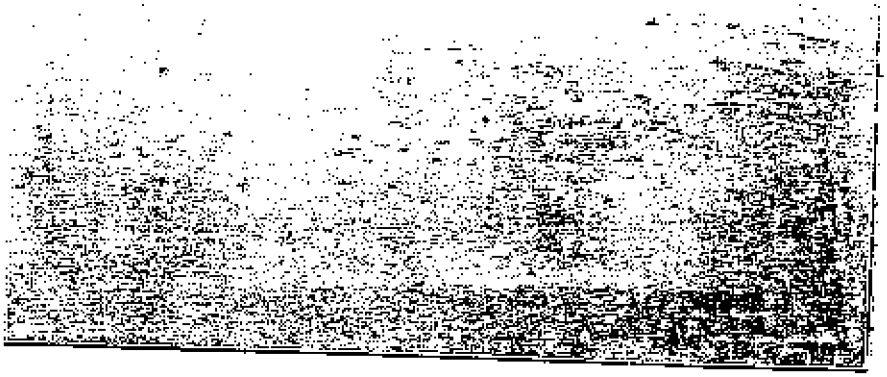

مصطبة الامير ادو في مقابر دندره (٢٦٠٠ قبل المسيح)

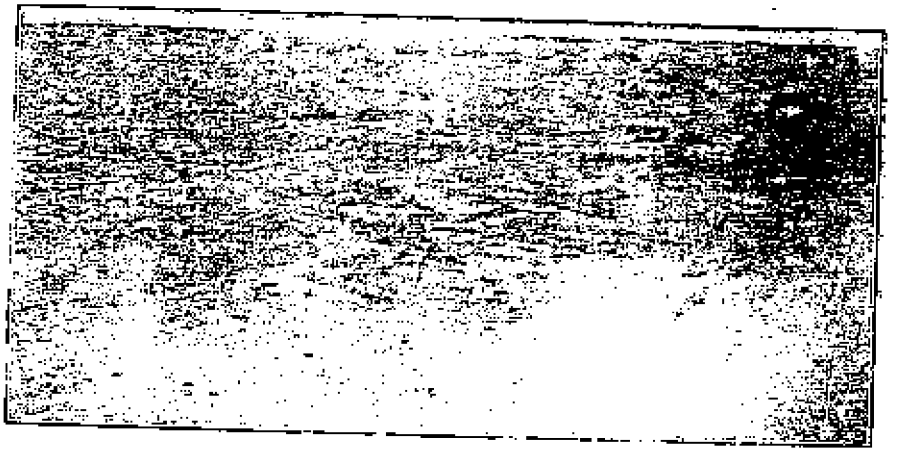

شاهد قبر في ديبا صورته وصورة نساء الثلاث (نحو سنة ٢٣٠٠ قبل المسيح
متحف برلين ٩١٨

المجسمة . فرقا بنا كأنه قبة والظاهر انها اقدم من القبور التي فيها كوى ولعلها من عهد شعب دخل القبر المصري في اواخر الدولة السادسة وهو الذي ادخل المدافن المتجمعة

واجسام الموتى لم تكن تحنط حينئذ بل كانت تكفن بكفن سادج من نسيج الكتان وتدفن وكانت القوارير التي تدفن معها سادجة من الخزف الاسمر الخشن ولم تكن اشكالها كثيرة الاختلاف وكان الناس حينئذ فقراء فلم توجد في قبورهم حلى ثمينة او مقتنة . والخزف الذي وجد فيها ابيض او اسود وهي من الحجر ووجد فيها ايضاً بعض صفائح من العتيق

وبعض هذه القبور نبش في عهد الدولة الثانية عشرة واستعمل ثانية وحينئذ صار الناس يدفنون مع موتاهم حجارة من الجشت ونحوه من الحجارة الكريمة وحلى من الذهب والفضة المتقنة الصياغة . ووجد هناك رفات اموات من عهد الدولة السابعة عشرة ولكن لم يوجد فيها من الدور الحديثة

ثم عاد الى مدينة دندرة شأنها الاول في عهد البطالسة والروم فاعيد بناء هيكلها ونشأت المدينة الجديدة حولهُ واستلأت المقبرة القديمة بقبور حديثة بعضها حيث لا قبور قديمة وبعضها في القبور القديمة نفسها

قصر منف

اما منف (حيث ميت رهينة الآن) فتختلف عن دندرة . فان البحث في دندرة عن القبور واما في منف فعن آثار المدينة القديمة التي قامت وخربت مراراً وكانت تبنى كل مرة على انقاض ما تقدمها [illegible] سنة والآن يصل ماء النيل وقت التحاريق الى قرب اسفل المباني التي بنيت في عهد الملك مرنبتاح بن رعمسيس الثاني الذي يرى تمثالهُ ملقىً هناك . ثم تراكمت انقاض المدينة بعضها فوق بعض بما حل بها من الدمار من وقت الى آخر حتى تكون منها اكمة ارتفاعها ١٥ متراً فوق الاراضي الزراعية المجاورة لها وعلى هذه الاكمة بنيت المدينة الرومانية وهي آخر ما بني هناك . ولكن المدة بين الملك مينا والملك مرنبتاح كالمدة بين مرنبتاح والعهد الروماني ولذلك فقد تكشف آثار قديمة تحت حد مياه التحاريق كالآثار التي كشفت فوقهُ . والبلوغ الى ذلك عمل شاق يقتضي زمناً طويلاً ونفقة كثيرة لحفر ونزح المياه

وقد تمكن الباحثون من قبل جامعة مسلفانيا في هذه السنوات الاربع من نقب مساحة واسعة الى حد الماء فكشفوا الجناح الشرقي من قصر الملك مرنبتاح ولم يكتشفوا له حتى الآن الا بابًا واحدًا وهو في جهة الغرب فيدخل منهُ الى الحوش الكبير. ولما كان الهيكل العظيم هيكل فتاح الى شمال القصر فينتظر ان يكون ابواب الاكبر في الجهة الشمالية من هذا الجناح

اما الجزء الذي كشف حتى الآن فهو حوش او صحن كبير مرصوف بالبلاط يطيف به من داخله رواق مسقوف قائم على اعمدة تيجانها كازهار البردي كانت مغطاة بالكتابات المحفورة فيها والنقوش الملونة. وفي الجدار الجنوبي من هذا الحوش باب كبير كانت الكتابات المنقوشة عليهِ مغطاة بطلاء من الخزف المدهون وبعضها مغطًى باوراق سيكة من الذهب. ويدخل منهُ الى دار الانتظار ومسقفها قائم على اثني عشر عمودًا مرصعة ومذهبة. ويدخل من هذه الدار بباب بديع النقش الى دار الاستقبال حيث عرش الملك وهناك يستقبل الملك السفراء الذين يفدون عليهِ وكبار رجاله والذين يحق لهم ان يمثلوا بين يديهِ. وطول هذه الدار ٢٥ مترًا وسقفها قائم على ستة اعمدة متقنة النقش وجدرانها مذهبة ومغطاة بنقوش بديعة الالوان وفيها ستة ابواب غير الباب الاول وكلها مغطاة بالنقوش المذهبة. وفي الجهة الجنوبية منها دكة من الحجر يرصل اليها على سطح مائل حيث كان الماثلون بين يدي الملك يصعدون لتقديم واجب التحية. وعلى جانبي الدكة سلمان صغيران لصعود الملك ونزوله. والدكة كلها مغطاة بنقوش بارزة فيها صور الشعوب التي حاربها الملك وتغلب عليها كالسامين والسردينيين والليبيين والزنوج والعرب. وقد كان العرش على هذه الدكة ولكنهُ زال لما احترق القصر بعيد وفاة مرنبتاح

ووراء دار الاستقبال غرفة يستريح الملك فيها وغرفة ينام فيها وحمام يغتسل فيهِ والى شمال الحوش باب آخر يفتح الى دار صغيرة وهو كثير النقش والزخرفة وقد وجد في هذه الدار القاضي المصري الذي كان مبنيًا فوقها حيث كان الملك يقف حينما يشرف على رعيتهِ لتراه. وامام المدخل حوش آخر مرصوف بالاجر تتصل بهِ المطابخ والمخازن. وقد كشف كل الجانب الشرقي من هذا الجناح وهو نهاية القصر من تلك الجهة واما الجانب الغربي فالعمارة متصلة به الى بعيد

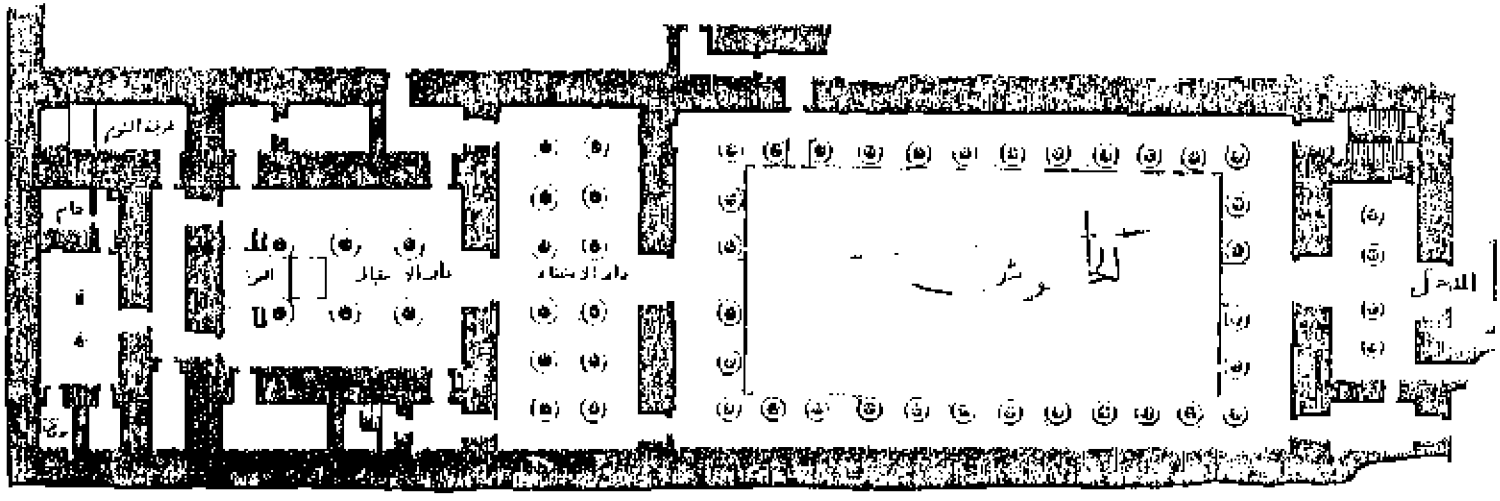

رسم قصر الملك مرنبتاح في منف

ملتقط ف ديسمبر ١٩١٨

امام الصفحة ٥٥٦

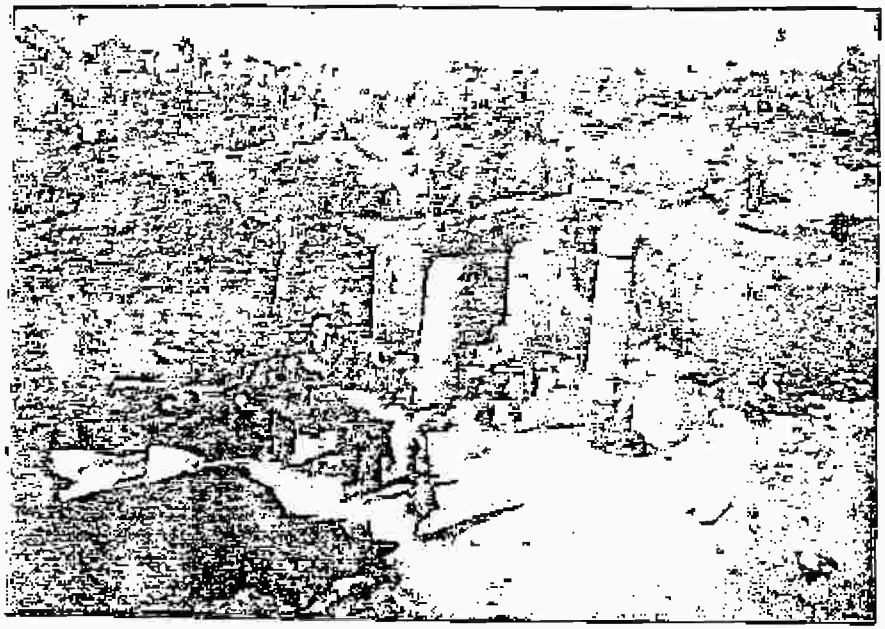

باب خلوي الكبير من قصر ملك مرتاح

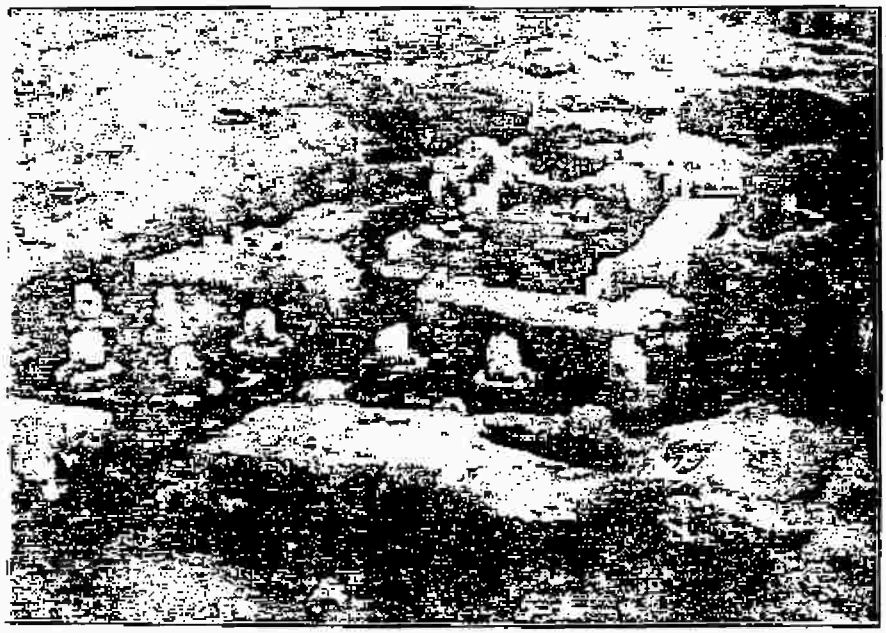

آثار خوش الصغير و المحرق

مقتطف دسمبر ١٩١٨

امام الصفحة ٤٥٦